

جودت حيدر يقف على عتبة المئة بشغف العاشق ويستحضر الماضي سطور بخور على عرش القصيدة

■ لم ينتم إلى مدرسة أدبية معينة وظل صوت نفسه وصدى واقعه
 ■ كتب قصائده باللغة الإنكليزية في غربته الطويلة وحُرم من التمتع بلغته الأم
 ■ كرمته فرنسا بوسام جوقة الشرف ومنحه لبنان وسام الاستحقاق الذهبي



■ جودت حيدر

الكاس حتى الثمالة، وبطرف العين نظر إلي وقال. انظر ما اجمل لبنان ابني القلاع الهياكل والقصور وحواليها مروج الورد ودوالي العنب قلت يا إله الخمر قل لي ما هذه الحياة يا ترى إذا ما نظرت اليها بعين الرضا على لبنان في حاضر الأيام وباقي الدهور، قال الحياة دنيا أمل في ربيعها وكتابها القدر وفي خريفها عبادة في الهياكل وسؤال بدون جواب. كما أنها الزهرة تلوح في الهواء وتعطي أريجها أصالة عنها للحكم عليها، وقوة إندفاع إن اخترقت عوائق الظلمة نفذت إلى النور، نحن الألهة نتباهي بحب لبنان حبلاً وهدراً.. وانظر معي يا ولدي ما اجمل المتوسط وضيوله البيضاء والركاب في خواصرها كالخوافر مسرعة ومن خلفها الغبار فوق الغبار تعلق قطعاً من السابحات مثلجة وتهبط فوق الهضبات هضاب وفي نزيها حياة للبحار والجبال والصحراء وانظر بعيداً تر فضائل أخرى من البيض مقطوعات تصارع وتعتد الصخور. وتراجع صنيحاً لترضع صفارها المهرة، مسرعة لتوالف الريح ضباباً في الجبال والسهول والوديان، وانظر إليه لترى جمال الفجر والشمس تشرق من عيون الزمان ليضمحل الضباب وينفجر لبنان، وعند الوداع قال نحن هنا وهنا العدو لا يبقى ما دام لبنان في حماننا والأرز والأجداد القدامى من هذا المنام النائم في فؤاد الشاعر والتخاطر دائماً في رؤياه ورؤاه.. تسرب إلى حب كان كالغرات. نرت كالدماة الراعفة فاض كما العاصي عصياً على قانون البحر والدنيا، تسرب مع دغوش الندى، والصدى، ونقف مع كلمات رنانة ندامة.. ما في حدا رحل الأبية إلا الذكريات في الليال في المدى، ويقول لها، لزوجته التي رحلت على غفلة ولم تعد أو تودع.. أو تودع.. إنما غمزت للحب، دمعت اشرفت، ونامت ثم قال فيها تنبعث الحياة مع الزمان نمواً، وبمراس الطبيعة تشب وتتسبب لتتوارى بعداً.

تردادها الريح في غياهب الكون، خز بين عمر، يرجع الميت حياً وانت.. أنت العطرة التي نمت وفي ربيعها هوت، وفي عطرها انطوت، وتجدت رمز القداسة. وبعد البعاد أصبحت الحطب. وكلما رف الهوى أدركت معنى الأسي.. وكان عيشنا كالشمس طراوة عند الغروب، وبعد الغروب صفاء. تلك ليالي النجوم والسهل، وعندليب الغاب ينشد الحان الطيب حتى يغيب القمر، ويظل مع المغيب كم.. وكم هذه الذكريات كم أتوق إليها في عزلي، احلم بحب كان كالغرات امواجا تتلاطم، طال صبري، ومن تناولت الصبر، وأنا صابر في غاية الصبر.. ومن اتاني يراني كالزمان صابراً على صبري.. وانت.. يا حبيبتني لا تحزني هذا قضاء وقدر. والحياة ارتفاع جبل وحنو واد هذا الكون متناقضات نفي وإيجاب ولو لم يكن هكذا لما كان ما هو إلا هذا العمق لا يحده مدلول.. الا اكفان العبر في دنيا السكون. والأنا كالنحلة انطلاقاً، وجناح الطير ربيعاً أمضي إلى الجبال والقمم وبالزيميل أضفر على صدور البقاء، حكاية حبي وما كانت إلا حباً عقلاً ضميره الوفاء. لا حب قيس ليللى مزيج من الجنون والبكاء هذا.. وجاء ملك الرعب، ورحلت مع الأيام، في خريف عمري كروض حور ضعيف البنية يخف رويداً رويداً على طريق الهلاك صابر مختار قبالة تعاطف الريح، التي تهب عاصفة لتجعل من باقي أيامها ركامها. حبيبتني.. لا تحزني، لأن التلاقي بعد المنية والخلد سرمدى أنت وأنا ذكرى حياة رجعت لباطن الأرض جسداً ولباطن السماء روحاً أنت من عند ربها وذهبت، وذهبت

الشعر يحثني على العمل أكثر فأكثر من أجل تحسين مستوى شعري، فانا لا أطمح لأن يكون شعري يمثل جودة شعرهم وحسب بل أطمح دائماً إلى الأفضل، وقد قرأت ذات مرة للشاعر اللورد تانيسين، شعراً يصف به البحر وكانت الأبيات تبدأ بكلمة تكسر تكسر، فهو يصف تكسر أمواج البحر على صخور الشاطئ وكانت نغمة هذه الكلمة تعبر تماماً عن طبيعة الصوت الذي تصدره الأمواج حين ارتطامها بالصخور، أعجبني الوصف كثيراً لأنني على شاطئ البحر الرملي في بيروت برفقة اخي وكان البحر هادئاً والأمواج في مد وجزر متواتر وخفيف، يصدر صوتاً شجياً فاتنني فكرة. وتوقفت لأكتب قصيدة في وصف البحر بدأت بـ أغسل أغسل، شواطئك الرملية يا بحر.

وكانت هذه الكلمة أيضاً تعطي نغمة مد الأمواج على الشاطئ الرملي نفسها وانحسارها عنه، وكأنها تغسل عنه التعب والحزن والهموم، وبالفعل كانت قصيدة رائعة تضاهي ما قرأته للورد تانيسين..

أود ان أنوه إلى أنني لم أتأثر بشكل مباشر ولم أنتم إلى مدرسة معينة. فانا صوت نفسي وواقعي المحيط بي كتبت شعري وطبعته في دواوين أصدقاء وأصوات عبرت فيهما عن واقعي كتبت عن ذكريات رثيت ابني وزوجتي وكل ما يدور ويخطر في موضوع الحياة.

هو يحب البحر.. يتعشقه، مفرغ به هذا الخيار، فكلاهما يحمل شيئاً من الأيام والذكريات والأسرار، وكدمة من المشاور التي تطويها الأمواج.. وتتعكز عليها ذاكرة الحياة.

يقول احسبت البحر لأنني عشت قربه، سافرت كثيراً على كفه، احسنتني مياهاه أياماً وأياماً وقرأت معظم كتب العربية ولم أعثر في سطورها على موضوع جيد يتناول البحر إلا نادراً..

مسكين بحرنا كم هو مظلوم، ويحيم، وما اذا وجدت بحري قصائد.. وشوشات، وصدى أيام منها قصيدة ذاكرة الزمان.. ووش ووش أغسل شواطئك الرملية يا بحر.

لقد إيقنت ان الهوادي امننت بالإنجيل والقران ديناً وأنا انظر إليها ترعك بخشوع وتعتمد الشواطئ. وتصلي صلاة الغروب والفجر على الرمال تتراجع لتبشر بالنقوى ما بين الاسماك وسائر الكائنات في البحر.

هكذا عظمة عظام الوجنتين تبقى مع الدين عبادة ومع الصرية يقظة وجهاداً والخيل أبدأ في اطراد تحنّها الركاب لتواكب الرياح مسيرة، وانفاسها براكين بخار تتصاعد سحبا سابحات في الفضاء تتلاطم وتتلاطم اصواتها رعداً وبرقها يستشعر كسيوف الشعراء بالفكر الناقب الواضاح. اما لبنان الشاعر فهو الحب والجمال والعنفوان والعظمة، هو الشمس والنور والضياء.. يقول فيه..



■ ميخائيل نعيمة



■ أمين الريحاني



■ جبران خليل جبران

عن أهم المحطات الاجتماعية والسياسية في حياته يقول:

علمت بعد عودتي من الولايات المتحدة الأميركية في شركة بترولوية وعدت إلى بعلبك في أثناء الاستعمار الفرنسي فرشحت لانتخابات مجلس النواب وقد نلت من الأصوات ما يؤهلني لنيل منصب نائب، لكن كوني معارضاً للفرنسيين انذاك أدى إلى إسقاط اسمي، فرجعت إلى عملي في الشركة عام 1943 وعينت مديراً للعلاقات الخارجية ومن ثم مديراً عاماً في حمص وايضا مستشاراً صناعياً لكل من لبنان والأردن والعراق وسورية وقطر وانجزنا في تلك الفترة أعمالاً كثيرة أهمها حفر ابار بترولوية في مدينة دير الزور وقسمنا بمد الأنابيب، فانشأنا ثلاث محطات في سورية اثنتان قرب تدمر والثالثة على حدود العراق وفي العام 1960 رشحت للمرة الثانية للانتخابات لكنها كانت كسابقها، واعطى النصب لنائب آخر، فوعت ان انال منصب سفير لبنان إلى إحدى الدول الإفريقية، لكنه أيضاً لم يحقق، وهكذا تركت الخوض في خضم العمل السياسي ورجعت إلى بعلبك حيث الهدوء والسكينة برفقة اشعاري وكتبي.

البيدات الأولى

السياسة، سألت الشاعر عن بداياته الأولى فقال: بدأت محاولتي في كتابة الشعر أثناء دراستي في الولايات المتحدة، إذ أنني كنت مهتماً باستعادة مادة الأدب في ذلك وبولعها بالشعر وبخاصة الشاعر برن. وكانت دائماً تتامل شعره، فأحببت أن أكتب لها بعض الشعر ولم يكن عمري حينها قد تجاوز السابعة عشرة، فهازت المحاولة الأولى على إعجابها، وشجعني على الاستمرار، وقد ترجمت هذه المحاولة إلى العربية وأرسلت إلى بعلبك حيث طبعته في جريدة «الإيضاح» من هنا كانت البداية ومن ثم أخذت اشترك في مباريات شعرية، كانت تقيمها الجامعة، وتطلب الإشتراك فيها جهداً مضاعفاً مني فقد كنت ادرس وأراجع في كتب متنوعة مما أضفى على لغتي المزيد من الجودة والصلابة. وكنت أفوز لتمكني من اللغة الإنكليزية وكان نجاي يدفعني للاستمرار.

بعد عودتي إلى لبنان عينت مديراً لجامعة عالية، الوطنية ومن ثم رئيساً لجامعة النجاشي في نابلس في فلسطين، وكنت أيضاً عضواً في مجلس التعليم العالي لحكومة فلسطين آنذاك في هذه الفترة عدت إلى الشعر يدفعني شوقي، وحنيني لاميركا والجو الذي لفته هناك، فكتبت شعراً وصفت فيه حنيني وشوقي لايمي الخوالي، وقد نشر في جريدة «دالاس نيوز» الشهيرة في دالاس بتكساس.

شاعر البحر

وعن تأثره بشاعر معين يقول جودت حيدر، لقد اطلعت على معظم كتابات الشعراء الأميركيين والبريطانيين وقرأت ترجمة لغات كثيرة إلى الإنكليزية والعربية وكان إعجابي أحياناً ببعض

العرب لأنه بالفعل استطاع أن يدخل كل المحاضر العالمية والموسوعات التي تثبت مشروعيته كشاعر في محافل الدول وكراسات مكنتها وحافظه أهلها وجامعاتها، وموسوعة غنيس وغيرها شاهدة على أهمية هذا الشاعر العربي اللبناني العالمي الذي قال فيه أديب فرحات عام 1962 في كتابه «وحي المجتمع» ما يلي نثراً وشعراً.

الأديب جودت بك حيدر من أكابر الشعراء باللغة الإنكليزية وقد اطلعت على شيء من شعره في تلك اللغة فأعجبت به كل الإعجاب وبعثت إلي بالأبيات التالية:

روعة الشرق وحن الغرب
 جمعا في شكسبير العرب
 شاعر الألهام والفكر الذي
 شق بالإشعاع ستر الغيب
 شعر خلق في عليائه
 بجناحي تشع من ذي مخلب
 ظل الشرق جناح منهما
 وجناح مد فوق الغرب
 سكت الهة الشعر على
 رأسه أقدس زيت طيب
 فأنبرى ينظم في هيكله
 لؤلؤ الفن ودر الأدب
 أدب عال سلبت جودته
 كل لب ولسان ذرب
 وغدت ألباناً حكمته بعد
 ان عانت اليم الشعب
 فنعمننا بالهنا بعد العنا
 وظفرنا بالمتنى والأرب
 ونفخنا بشكر عاطر
 يخجل الأزهار بين العشب
 لا أرى الشعر سوى وحي
 ولا في شاعر إلا نبي

نعم من العالم الغربي عاد جودت حيدر إلى عرينه الأساس والأصل، إلى لبنان الذي أحب وكان للأثر أيام زمان اليد الطولى في تركه هذا الوطن والتجوال مع الغربية في أنحاء العالم، هو الآن بيننا، في بعلبك الشمس والعباءة، والنور يسرح نظره مع قطعان الأرض الشاسعة، ومع الجبال المكلمة والمعصمة بنصاعة الروح والعقل، يكتب ويقرأ، ويستحضر الماضي سطور بخور على عرش القصيدة الإنكليزية واللغة والإنسانية المعنى.. والضمون، أميراً تربيع في قرنة القيم يتجهل صلاة الحب والمحبة والطمأنينة في هذا البلد المخطوف حتى أصغر ظفر في أخصم قدم فيها، يعيش في منزله البعلبكي حياة هادئة يطبق فيها نظاماً بسيطاً من الغذاء، يساعده في المحافظة على صحته ورشاقتة، فهو لا يحب البدانة كما يقول ولا الترهل، يأكل بانتظام تقريباً ولا يوجد لديه أي نوع مفضل أو محدد لطعامه وهو ما زال يتمتع بصحة جيدة يحسده عليها الشاب، ويمارس هواياته المفضلة وهي المطالعة وري حدائق منزله، وقطف الثمار من البستان وتسلق الأشجار المحيطة بمنزله.

بيروت - ليندا عثمان

■ من ينابيع جودت حيدر التراثية والفكرية والفلسفية والحياتية نغترف ونعب ولا نشيع، فهو كتلة مشاعر حساسة وموسوعة أدب وكياسة، شاعر تفقت قريحته باللغة الإنكليزية حيث فاضت على صفحات حياته لتصير قصائد ودواوين ومجموعات تعدت الخمسة.

فالرجل لم يترك كتاباً من دون قراءته، هكذا اسر لنا في جلسة حوار حدثنا فيها عن حاله وأحواله، وتحولاته من البيئة البعلبكية إلى الثقافات العالمية ضارباً في عرض الصائغ كل العوائق والممنوعات، حيث عاش فترة شبابه منتقلاً بين بعلبك التي ولد فيها عام 1906، وفرنسا والولايات المتحدة الأميركية، فبعد أن أنهى دراسته في الجامعة الأميركية في بيروت ونال إجازة في مادة التاريخ ذهب إلى فرنسا ليدرس في كلية الزراعة وهناك انطلق بعدها إلى الولايات المتحدة ليتابع دراسة هذا الحقل الذي أحبه ولا ندري لماذا أثرت البيئة البعلبكية الخصبة في هذا التوجه وكان أن دخل معتزله لكنه لم يعمل به، بل تخصص أيضاً في مجال التربية والتعليم، بالإضافة إلى علم النفس، وكتابة الشعر بالإنكليزية ومحاولات جادة باللغة العربية التي يحبها ويتمنى التمرس بها، فهو يعتبر أن شعره الإنكليزي ليس إلا وروداً جذورها عربية نبتت في حديقة غناء يمكن المناظر إليها لأول وهلة رؤية الأزهار وبعد قليل إذا نامل أكثر يرى النحلة التي ترشف الرحيق، فغني شعره العمق والوضوح والشمولية وقد كتب جون سونرو رئيس قسم اللغة الإنكليزية في الجامعة الأميركية مقدمة أحد دواوين الشاعر «أصدقاء باللغة الإنكليزية قائلاً هناك ثلاثة شعراء لبنانيين رحلو إلى أميركا هم: أمين الريحاني، ميخائيل نعيمة، جبران خليل جبران، وهناك كونوا شخصياتهم كتبوا أشعارهم وايضا هناك جودت حيدر الذي كتب بالإنكليزية، إلا أنه لم يكتب في كل موضوع عايشه بينما أولئك الثلاثة كان كل منهم يختص بموضوع معين، ولكن هؤلاء الاربعة يشعروننا خلال كتاباتهم وكانوا نقرأ شعراً أميركا لشعراء أميركيين، شعر جودت حيدر يتميز بأنه يفرج عنا الهموم ويواسينا، ويكون رقيقاً وغذاءً للجانحين وحياة عقول المضطربة.

نجودت حيدر عرفه الغرب وقرده حق تقدير.. وقد نغ لقب شكسبير العرب تقديراً لشعره، كما منحه أباً روما تشريعاً مصحوباً بشهادة تقدير من فاتيكان وايضاً منح من فرنسا وسام جوقة الشرف من مصر وساماً من بطركية الاقباط ومن القدس سام الحجى من كنيسة القيامة، وآخر من بطرك روم في دمشق ومنح وسام الاستحقاق اللبناني ذهب.

عنه حياة جودت حيدر لن نقول انها قصة بيتمة او زينة فهي كمثل قصص الشعراء مليحة بالرحيل لغربة والسفر. أرح الوطن خارج سرب المجتمع والبيئة والحياة وتينبية العادية، قصة غنية وحافلة بالسفر هادئة البحر والتغزل به والشكوى اليه.. حكاية في طورها ترحال وتنقل وإقامة واستزادة وتدوق ثم نغ باللغة الإنكليزية التي أصبحت عند الشاعر دفاً وموضوعاً غنياً بالقصائد ودواوين الشعر واضع الحياة بكل جنونها وحنونها مما حتم عليه م التمتع بلفته الأم وهي العربية التي غابت نين عن هواه، وما هي تستعيد مجدها، بمقالات عرض المحاولات في الدنيا والحياة والكون والوجود نرى النور قريباً وتعرفنا به أكثر وأكثر.

هوميروس العرب

هذا الشاعر اعترف به العالم الغربي ولقبه شكسبير العرب، ونحن سنلقبه بـ هوميروس،